

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيد المرسلين  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

## تقديم

أما بعد :

فإن الظروف الحاضرة تظهر أهمية توضيح النظم الإسلامية وتفصيلها مقارنة بغيرها من النظم السائدة فى هذا العصر، وذلك للأسباب الآتية بصفة خاصة :  
أولاً : أن هذا العصر هو عصر حرب الأفكار والشقافات، التى أخذت صورة « الحرب الباردة » بين مراكز القوى الدولية .

وهذه المراكز تشن على النظم الإسلامية - بالذات - غارات لا هوادة فيها وقد أصبحت لا تعتمد إلى الحط من هذه النظم، إذ أصبح فضلها معترفاً به ولم يعد خافياً بعد أن أشاد بها المفكرون الغربيون وامتدحتها المؤتمرات الدولية، وإنما تعتمد إلى إلباسها بنظمهم، والترويج لدى المسلمين بخلط نظمهم بنظمنا، حتى يكون توطئة لتقبل المسلمين لتلك النظم؛ فيزيفون الإسلام بمبادئهم ويدعون إليها عن طريق ادعاء شبهها بالإسلام . فالنظم الديمقراطية الحرة والرأسمالية تزعم أن الإسلام من عائلتها، وأنه يدعو للحرية المطلقة مثلها . والنظم الشيوعية تزعم - على العكس - أن الإسلام من عائلتها وأنه يدعو إلى الجماعية مثلها . وهذا التلبيس قد أوقع المسلمين فى شبهات حقيقية من أمور دينهم ولم يعودوا يعرفون أصوله ومميزاته وخصائصه، مما يوجب أن يكون هناك مرجع شامل موثوق به سهل المراجعة، لتحديد النظام الإسلامى تحديداً واضحاً وفصله عن النظم الأخرى منعاً من مخاطر هذه الانزلاقات الفكرية ذات الأثر الوخيم، والتى تهدد بإخراج الإسلام عن حقيقته وتشويهه وإفقاده ذاتيته وكيانه المستقل .

وثانياً: بيان فضل النظام الإسلامى وإثبات ذلك تمهيداً لتطبيقه وتيسيراً للأخذ به :

فإن المسلمين اليوم فى أشد الحاجة إلى الثقة الذاتية، والاعتماد الكافى على مقوماتهم الخاصة، خاصة وأن بهرج المدنية الحديثة زين لبعضهم الإعجاب بالمدينيات الأخرى، وتصور أن نظمهم تفوق نظامنا وأنها أكثر تقدماً منه .

وهذه الناحية لها أهمية كبرى؛ لأن عدم الثقة الذاتية، والاعتماد على المصادر الأجنبية والنظر إليها نظرة الإعلاء والإعجاب، يمهّد للخضوع لها فى سائر نواحي الحياة، فإنه متى فقد الإنسان شعوره باعتزازه وإيمانه وعقله، فإنه يسهل عليه الهوان فى سائر شعونه . . وهكذا فقد كان الغزو العقيدى والثقافى دائماً مفتاحاً للاستعمار الوطنى والاقتصادى وسائر ضروب الهوان التى قاست منها الشعوب، وكان الاعتزاز بالمقومات الخاصة واحترامها خير سند لصلاية الوجود المستقل . وهذه الملاحظة يؤيدها التاريخ بشواهد كثيرة .

**ثالثاً : إن هذا العمل يفصل فى قضية يحتج بها أعداء الإسلام :**

وهى الاستدلال على عدم صلاحية الإسلام ونظامه ، بعرض حالة الشعوب الإسلامية وما وصلت إليه من التدهور . .

وليس ثمة تهمة يُرمى بها الدين أفدح من ذلك، ولا سبة أشد من هذه السبة، ولا دعوى أضرم منها، ولا عداوة أشد من هذه العداوة . وقد نكون مضطرين إلى الصبر على هذه التهمة مؤقتاً لأن الواقع أن كثيراً من المسلمين صاروا سبة لدينهم ودعاية سيئة لنظامهم، بحيث صار تخلفهم قرينة على تخلف نظامهم . .

وهذه السبة مما يجب أن نبرئ الإسلام منها بعرض أصول نظمه لبيان فضلها وكمالها، ثم بيان الظروف الحقيقية التى أدت إلى هذا التدهور، وهو أمر ليس غريباً على أمة استطال تاريخها أربعة عشر قرناً . . تعرضت فيها لحن قاسية .

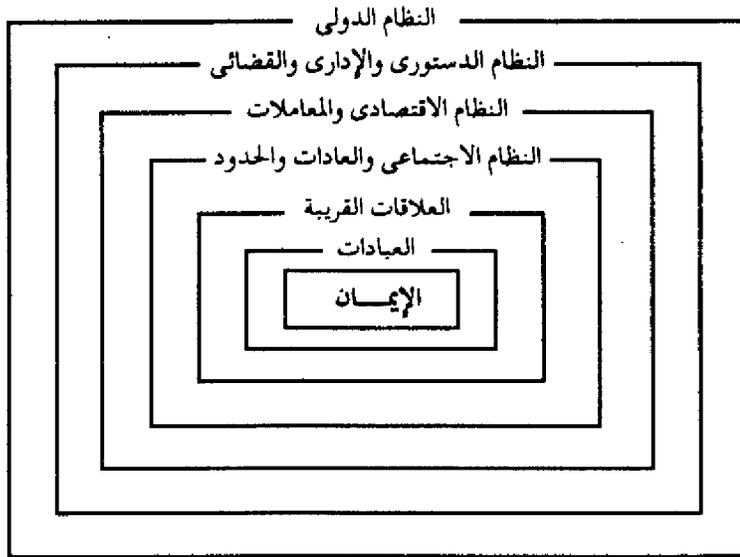
ومن المعلوم أن الأمم الإسلامية قد نشأت نشأتها الأولى منذ عهدته ﷺ وأن مدينتها قد أخذت مداها لما أخذت الأرض زخرفها وازينت لها . . ثم دبت فيها عوامل الفناء . . . بذلك الداء الوبيل وهو الترف . . فانقضت تلك النشأة الأولى على دفعات : فى الأندلس بغزو الفرنجة لها، وفى المشرق بغزو التتر، وفى مصر وسائر البلاد الإسلامية بتسلط العثمانيين على تلك البلاد وتخريبها لها . .

ثم اعقب هذا السقوط الشامل بعث جديد .. فبعض بلاد الإسلام بعث على قوة وتجديد وصحة - وهي قلة - وبعضها الآخر بعث على مرض ووهن كالطفل الذى يخرج كسيحاً مشوهاً .. وهذا كله محل دراسات تجب العناية بها لكتابة التاريخ الإسلامى من جديد فى ضوء الحتميات الإسلامية المؤكدة ، وفى ضوء الاعتراف والنقد الذاتى ، وبدراسة أحوال الاقليات الإسلامية والبلاد الإسلامية المغلوبة والظروف التى أدت إلى سوء البعث وعلاج ذلك كله .

فنحن هنا نعالج هذا الشق من القضية : وهو إثبات فضل النظم الإسلامية والحكم بصلاحياتها لإدارة الحياة العصرية وتفوقها على سائر النظم .. وأما سائر نواحي القضية وفروعها فهو أمر آخر يتناوله المتخصصون فى مجالاتهم .

رابعاً : أن النظم هى الوقاية العامة للإسلام والإيمان

والتفريط فيها يؤدي إلى خلخلة الإيمان - وإلى التأثير فى جميع الأوضاع والوسائل السائدة فى الجماعة الإسلامية .



[ شكل رقم ١ - أسوار النظام الإسلامى ]

فلاشك أن الإيمان هو جوهر الحياة الإسلامية وقلبها ولكن الإيمان لا يستقيم أمره إلا بحسن أداء العبادات ، فإن ممارستها باطمئنان ونظام فى أوقاتها الدورية

وبشروطها ومكملاتها يؤدي إلى حفظ الإيمان وتقويته . وسوء أداء العبادات أو التفريط فيها يؤدي إلى تخلخل الإيمان وقلقته في النفس . ولذلك فالعبادات سور يقى الإيمان ويحفظه والعبادات بدورها لا تؤدي أداءً حسناً باطمئنان وانتظام وبحيث تنتج فائدتها الروحية في حفظ الإيمان وتقويته، إلا إذا كانت العلاقات القريبة طيبة مع الناس . وهذه العلاقات هي الأحوال الشخصية للإنسان - زوجته وأهليته - وقرباته القريبة وصلة رحمه ، وجواره وعلاقات صداقته وزملائه وعمله، فإنه إن لم يكن مستقراً في هذا كله اضطربت عبادته، وبالتالي تأثر إيمانه . فالعلاقات القريبة بدورها سور يقى العبادات ويحفظها .

ولذلك لا يؤدي المسجد رسالته مع سوء العلاقات بين المصلين فيه . . إذا ساءت الشحنة والبغضاء بين أهله من جيران وأقارب وغيرهم .

والعلاقات القريبة لا تنتظم إلا في ظل نظام اجتماعي إسلامي يقيم العادات الإسلامية على وجهها مؤكدة بالحدود الرادعة . وبدون ذلك يصير المسجد وأهله كالمجسم الغريب في المجتمع . وإذا افتقد الإنسان ذلك تعذر عليه أن يُحكّم علاقاته القريبة على الإسلام، فتتمرد عليه زوجته وأولاده إن حاول أمرهما بالمعروف، ويضطر إلى أن يجد من زملائه وأصدقائه ما يخالف الإسلام . . . وهذا يؤثر في علاقاته القريبة بعباداته . لأنه يصير كالقابض على الجمر من شدة منازعته مع من حوله . ويصير غريباً في أهله . . ولذلك فالنظام الاجتماعي والعادات والحدود هي بمثابة السور الواقية للعلاقات القريبة فما تحتها .

وكذلك فالنظام الاجتماعي لا يستقر إلا في ظل اقتصادي ومعاملات إسلامية . لأن النظم العصرية - بما فيها من مادية - تفرط في العلاقات الأدبية والمعنوية في سبيل المنافع الاقتصادية، وتضحى بعلاقات القرابة والصلة والجوار والأخوة في سبيل المكاسب المادية والأرباح . وبذلك تنهدم الأسس الإسلامية السليمة في العلاقات الاجتماعية والعلاقات القريبة وبالتالي تتسرب الشحناء وتقطع الروابط الداخلية بين الناس بسبب المادة والنفعية . فالنظام الاقتصادي الإسلامي والمعاملات هي السور

الحافظ للنظام الاجتماعي الإسلامي . وهما اللذان يكفلان أن تظل القيم المعنوية فوق المادة بين المسلمين .

ولكن الإنسان لا يستطيع أن يلتزم الأصول الإسلامية وحده في علاقاته ما دام أن الدولة ذاتها لا تسيّر على النظام الإسلامي ... لأن الدول الوضعية ( العلمانية ) تحمي الأوضاع غير الإسلامية بقوانينها، فإذا احتكم المسلم إلى القضاء وأولى الأمر في هذه الحالة صدر حكمها ضده .. وبالعكس فإن خصمه يفوز باستصدار الأحكام والقرارات التي تعزز موقفه غير الإسلامي .

وهذا يؤدي بضعاف الإيمان - وهم الأغلبية - إلى التخلي عن أحكام الدين في علاقاتهم .

ولذلك فلا يمكن أن تقوم الأسوار السابق ذكرها إلا في كنف السور الأعلى وهو النظام الدستوري والإداري والقضائي الإسلامي

والدولة ذاتها لا تستطيع أن ترسي نظمها العليا على الإسلام إلا إذا كانت مكانتها الدولية تسمح بذلك .. وإلا اعتبرها الشرق والغرب عدواً لهم .. إذ لا يمكن إقرار نظرية سياسية والعمل بها إلا في ظل العزة الدولية، وبغير ذلك نجد جماعات المسلمين بعضها يسارع بالولاء إلى الدول غير الإسلامية والانتماء لنظمها وبعضها الآخر يصير أقلبيات في دول غير إسلامية دون أن يجروا المسلمون أو يتمكنوا من مساعدتها جدياً .. وبذلك فإن النظام الدولي هو الغلاف الحافظ لكل ما تقدم . وبدونه تصعب إقامة النظام الإسلامي على وجهه .

فهذه هي بعض الدوافع الهامة التي توجب إخراج هذا المصنف الشامل، وفيه يجد الباحث الحديث عرضاً ومقارنة بالنظام الإسلامي، ويجد فيه علماء الإسلام - في الأصول والشريعة ونحوهما - عرضاً ومقارنة للنظم الحديثة، فنحن في أشد الحاجة إلى تقارب هذين الصنفين، وإلى تمازجها وتفاهمهما بما يتأيدان به ويفيد كل منهما من الآخر في هذا المجال المشترك : وهو التعاون في بناء الحضارة العصرية على أساس الإسلام .

وطريقة العمل - كما هو واضح - تعتمد على نوعين من التصنيف :

التصنيف الموضوعي .

والتصنيف الأبجدي .

وقد اضطررنا إلى التصنيف الموضوعي بسبب حداثة هذا النوع من الدراسات .  
أما التصنيف الأبجدي فهو في الحقيقة الأصل الذي يجب أن تستقر عليه هذه المصنفة  
في النهاية فإن الأصل في المصنفات أنها أبجدية .

وفي هذا التصنيف الأبجدي يجد القارئ شتات الموضوع الواحد مرتباً ترتيباً  
أبجدياً متكاملأ .

ومن الواضح أن هذا العمل هو عمل فكري . ولذلك فهو محرر على الطريقة  
التي يبتغيها المفكرون وطلاب الثقافة الإسلامية .

نعم هو ملتزم لأدق الأصول الشرعية بإذن الله . ولكن الانطلاق الفكري  
لا يسمح بكثرة الإحالات ويتطلب استعمال المصطلحات العصرية بتصرف ..

ومع ذلك فقد اضطررنا إلى النقل المباشر من التراث في بعض الموضوعات ذات  
الكيان الفقهي المستقل ، كبعض موضوعات العلاقات الدولية الإسلامية ، فهي كائنة  
بذاتها في أبواب الشريعة المتعلقة بالجهاد والسير .

والله سبحانه وتعالى نسأل التوفيق - وهو وليه - وأن يكون هذا المصنف نفعاً لند  
وللمسلمين .

دكتور

مكة المكرمة شوال ١٣٩٥ هـ

مصطفى كمال وصفي

أكتوبر ١٩٧٥ م